لمحات من التاريخ السياسي

للامبراطورية البارثية ٢٥٠ ق م ـ ٢٢٦ م

احمد مالك فتيان الراوي
مدرس التاريخ القديم المساعد
كلية الآداب / جامعة بغداد

هناك سؤال يجابه القارىء عن اصل البارثين ونوع حضارتهم وموطنهم واستيلائهم على بلاد وادي الرافدين ، وقبل الاجابة على هذا السؤال لابد لنا من الرجوع الى المناطق القديمة التي تدفقت منها الكثير من الاقوام الغريبة على بلاد وادي الرافدين الا وهي منطقة المراعي التي تمتد من الدانوب الاسفل شرقا على طول الجانب الشمالي من البحر الاسود قاطعة روسيا الجنوبية حتى سواحل بحر قزوين[1] وكانت تلك المراعي مكتظة بالرعاة الرحل الذين كانوا يتدفقون كسيل العرم على آسيا الغربية .

ان هذه القبائل الشمالية هي نفس الشعب الهندي الاوربي ابتداء منذ القديم يهاجرون من مراعيم في الشمال الى جميع الجهات . وعلى مرور الزمن تألف منهم صف من الخلق طويل يمتد على تخوم الشرق القديم .

وحين تفرق شمل قبائل هذا الشعب بالترحل والتنقل وتصرمت أسباب اتصالهم بعضهم ببعض وصارت كل قبيلة منها تعرف بخاصات

تميزها عن سواها ، سواء في اللغات ام في العادات وعلى تمادي الزمان تعاظمت الفروق بينهم جدا ، والذي يهمنا هو أصل هذا القوم أي الجنس البارثي الذي لعب دورا مهما في حياة بلاد وادي الرافدين السياسية منذ قضاءه على الامبراطورية السلوقية وريثة الاسكندر المكدوني .

ان اعتمادنا للاجابة على هذا السؤال . نقول ان التنقيبات الاثرية تقدم معرفة جديدة كل عام عن هؤلاء الناس وتضيف كل عام معلومات الى المعلومات القليلة التي قدمتها الكتابات القديمة وبسبب الحفريات صار بالامكان اعطاء معلومات الى جانب المعلومات السياسية عن العمارة والفن[٢] .

الا ان الاصل الجنسي للبارثين الاوائل خاضع بالدرجة الاولى الى التخمين والقصور وذلك لاختلاف الباحثين فيما بينهم . بخصوص من هم البارثيون ومن أين جاءوا ....؟

ان الدليل الاثري والانثربولوجي غير متوفر بعد ولا نتوقع من بقايا الهياكل العظمية الحاصلين عليها من المواقع البارثية ان تعطينا معلومات كثيرة ذلك لاننا نعرف سلفا بانها تحوي على نسب مئوية كبيرة من سكان البلاد الاصليين وهذا فيه مزيج من البابليين والاخمنيين والمكدونيين .... الخ .

أما اللغة فلا تقدم لنا اشارة عن اصل البارثيين ذلك لان لغتهم[٣] فيما نعرفها متبناة بعد دخولهم الهضبة الايرانية أما لباسهم فهو يمدنا بمعلومات واسعة ومؤكدة اكثر مما تقدمه اللغة ولكن مع ذلك لا تقدم لنا اكثر مما قدمه الكتاب الكلاسيكيين . لقد ابدى المؤرخون الاوائل انتباه قليل الى البارثيين عندما اتصل العالم الغربي بالبارثيين فلقد قيل

بانهم من البارني الذين كانوا احد المجاميع من القبائل المعروفة لـــدى اليونانيين باسم داهي[٤] وهم جماعة كبيرة من القبائل التي تعيش حياة رعوية في السهول بين بحر الخزر وبحر الاورال على ضفاف نهر اوخس.

ان هؤلاء الناس لم يعرفوا باسم البارثيين كبارثيين الى ان انتقلوا باتجاه الجنوب نحو الاقليم الفارسي (بارثافا)[٥] اقليم خراسان الحالي وهو حدث حدث قبـــل عـــام ٢٥٠ ق.م ان الـــكتب الاخمينيـــة واليونانية الاولى تشير الى البارثيين على انهم سكان بارثافا الاوائل ونحن نعرف من دراساتنا للتاريخ الاشوري ان الاشوريين عرفوا المقاطعـــة التي سميت فيما بعد باسم بارثافا في اوائل القرن السابع ق.م ، فهـذا وارد عن طريق التقارير التي اشارت الى حمله اسرحدون التي توغلت في جنوب بحر قزوين رغم ان الحدود الاشورية لم تتضمن اقليم بارثافا . لقد خضع هذا الاقليم تحت سيطرة الامبراطورية الاخمينية حين نرى ان احشو ويرش والرداريوس قد خسر حياته محاربا في هـــذا الاقليم في محاولة لتوسيع الامبراطورية في ذلك الوقت . عندما قومته هذه القبائل البارثية التي كات تعيش حياة رعوية بحيث كانوا فرسانا ومحاربين وهم بذلك يحققون السعادة الكبرى عندما يموتون اثناء المحاربة والقتـــال ويعتبر الموت الطبيعي لهذه القبائل جهل وعار[٦] وبذلك نراهم يقومون وبفترة قصيرة بانشاء امبراطورية شاسعة شملت معظم الشرق القديم . ان هؤلاء الرعاة استولوا على كافة الاقاليم الشـــرقية من الامبراطورية السلوقية بحرب خاطفة منطلقة من اقليم بارثيا الذي نراه يستخدم لاول مرة من قبل البحاثة اليونانيين الهلنين الاوائل والكلاسيكين الى اقليـــم أخميني اسمه بارثافا والكتاب الذين يعتمد عليهم اولئك الذين عرفوا

بارثيا شخصيا مثل الكتاب الاغريقي (ابولودروس) وسترابو وجستين وبلوتاخ • وايسادورس صاحب كتاب المحطات البارثية •

ان هذا الاقليم الذي اقترن باسم البارثين كان يقع ضمن المقاطعات الحالية لخراسان غير ان حدودها الاصلية لايمكن تحديدها بصورة أكيدة لكن من المعروف ان بلاد بارثيا كانت تحاذي هركانيا من جهة الغرب وان المقاطعة الاخيرة تشمل جزءا من مازندارا[٧] الحالية وجزءا من مقاطعة استراباد وليس من شك بأن عاصمة البارثين تقع في هذه المنطقة وفي منطقة الدمغان • أما من جهة الشرق فكان يحدها نهر تجند الذي يحدد في الوقت الحاضر في مجراه الحدود الايرانية السوفيتية •

لم يترك البارثيون سجلات كتابية عن انفسهم بعد احتلالهم هذه المنطقة من السلوقيين الا نادرا ومن هنا تواجهنا الصعوبة في الحصول على المعلومات الصحيحة والحقائق ذات الاهمية لبداية تاريخهم السياسي ولكن من حسن الحظ ان هناك كثير من المقتطفات والاشارات المنتشرة وعلى نطاق واسع في كتابات الاغريق والكتاب اللاتين والمؤرخين العرب والقدماء • ان هؤلاء المؤرخين[٨] والكتاب قد تحدثوا عن القرن الاول من تاريخ البارثيين وهؤلاء الذين يشيرون الى هذه الفترة قدموا لنا معلومات ذات أهمية عن تلك الفترة من الزمن •

لقد ادت الظروف السياسية بالامبراطورية السلوقية نتيجة لاهمال السلوقيين الممتلكات الايرانية واهتمامهم الكبير بالمقاطعات السورية مما حدا بالقائد البارثي ارشاق الاول الى الظهور والقيام بثورة ضد اندراكورس الحاكم السلوقي لانطيوخوس الثاني[١٠] لقد سقط كل ما تبقى من بلاد فارس وبخطوات متتالية بقوة البارثيين وادى هذا

الانتصار في المقاطعات الايرانية على توحيد القبائل الايرانية في مقاطعة بختياري مكونة قوة عسكرية هائلة بحيث اصبحت الحالة خطيرة بالنسبة الى السلوقيين ونتيجة لسوء الاحوال الداخلية والاحداث الخارجية والاضطرابات داخل الامبراطورية السلوقية دعت الامبراطور السلوقي ان يترك الاحداث في المقاطعات الشرقية ويعود الى سوريا ويترك البارثيين احرار مما زادهم قوة سياسية .

تهدد كيان الدولة السلوقية ، وما ان وطد البارثيون اقدامهم في المناطق الايرانية المختلة حتى اعلنوا استقلالهم التام من السلوقيين ، حيث يرى ان مؤسس هذه السلالة ارساكس (ارشاق) يصور نفسه على قطعة فخارية وجدت في نيسا في منطقة تركستان الروسية وهي مدينة بارثية[١١] قديمة حيث نراه يطلق على نفسه الملك المجبل متحديا بذلك السلوقيين ومن ثم نراه يستعمل عصرا لحساب السنين على غرار السلوقيين والزمن هو ٤٢٧ ق.م هو العام الذي تسنم فيه ارشاق العرش .

وبعد وفاة ارساكس (ارشاق) مؤسس هذه الدولة استلم اخاه تريداتس قيادة جموع البارثين واحتل المنطقة التي تكون اليوم الحدود الايرانية القزوينية فتراه يبني عاصمة[١٢] جديدة أي موقع حصين بين انجبال ينطلق منها الى محاربة سلوقس الثاني الامبراطور السلوقي .

ان هذا الانقلاب الواسع في الحياة السياسية يعتبر انقلاب في المناطق الشرقية للامبراطورية السلوقية التي كانت تمثل الشرق القديم فنرى ان هذا القائد البارثي بعد ثلاثين عاما يكون له جيشا ويتوسع وينتقل الى محاربة السلوقيين وجها لوجه بحيث يستطيع ان يكسر

الجيش السلوقي بقيادة انطيوخوس الثالث ويكون دولة قوية ينتقل مباشرة الى احتلال العراق وينتزعه من السلوقيين ما بين عام[١٣] ١٣٩ ـ ١٢٦ ق م وهكذا تم لهم تحطيم الامبراطورية السلوقية والقضاء على أخر امبراطور وهو انطيوخوس السابع وجعل اقاليم الشرق كلها تابعة للامبراطورية الجديدة وادت بالنتيجة بضم هذه الاراضي تحت حكم جديد وتاج جديد وتأسيسهم لعاصمة جديدة هي طيسفون التي تمثل المرحلة الاخيرة للاستقرار السياسي وادارة الاقاليم في العراق .

لقد كونوا هؤلاء الرعاة حضارة ضخمة مستفيدة من كل التجارب السابقة . وتكوينهم دولة اقطاعية ورثت من السلوقين كافة الممتلكات واعتبروا الملوك البارثين انفسهم خلفاء لهؤلاء الحكام حيث ظهروا بمظاهر العظمة والابهة واعطائهم لانفسهم اهميته وتعبيرا رسميا بالتسمية التي وضعوها لانفسهم وهي ملك الملوك .

الا ان الاستقرار السياسي لم يدم طويلا حيث ورثو الحروب مع الرومان وبالضبط في عهد افرانس الثالث ٥٧ ق.م الملك البارثي بدأت سلسلة من الحروب مع الامبراطورية الرومانية المنافس الجديد للبارثين وعلى طول الحدود المشتركة وقد ضلت هذه الحروب بصفة متقطعة واستمرت حوالي القرنين من الزمن وذلك للاطماع الرومانية على مناطق الشرق والسيطرة على الطرق[١٤] التجارية التي احتكرها البارثيون ان هذه الحروب وما تمثلها في احداث سياسية بين مد وجزر بالنسبة للبارثين على التمسك بأقاليمهم مما حدا بالرومان الى تغير سياستهم وبذلك اتضح لنرومان انهم كانوا مخطئين بفكرة الاستيلاء على اسيا ، وادت هذه السياسة الجديدة الى بناء علاقات ودية مع البارثين حيث توصلوا الى

عقد معاهدة صلح وود بين الامبراطورية الا ان الظروف السياسيـــة وخصوصا الاحوال الداخلية التي ادت بالنتيجة الى قيام ثورة في اقليم فارس قام بها حاكم ذلك الاقليم اردشير ابن بابك ابن ساسان بالاستيلاء على جميع بلاد ايران في حدود ٢٢٦م والقضاء على أخر ملك بارثي هـو ارطبا ن الخامس وبذلك انقلبت صفحة من تاريخ هذه الامبراطوريـــة العريقة وحلول صفحة جديدة في التاريخ متمثلة بالدولة الساسانية الى ان هيء الله العرب في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) في عام ٦٥١م القضاء على اخر ملك ساساني وهو يزد جرد الثالث .

١ ـ هولد نلسن تاريخ العصر القديم ترجمـــة داود قربان ١٩٣٦ ص١٢٥ .

(2) Malcolm, The Partheianse (London) 1967. p. 13

(3) Debevoise, Op-cit-P. 3.

طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ١ (١٩٧٣) ص٦٠٠ .

— Malcolm, The Parthians. P. 15.

— Percy sykes, History of Persia, Vol. 1 (London 1963) P. 305.

— R. Chirshman, Iran, (England 1954) P. 243.

— Pope, A survey of Persian Art, Vol. 1. P. 71.

ارثر كريستنس ، ايران في عهد الساسانيين ـ ترجمة يحيى الخشاب ص٦

٥ ـ طه باقر ـ المصدر السابق ص٥٩٩ .

Debevoise. Op—cit-P. 3.

Malcolm-Op-cit- P. 23.

خليل الله خليلي ـ مرات ـ جـ١ ص٢١ .

(6) Chirshman, Op-cit. P. 244.

(2) Malcolm Op-cit. P. 17.

طه باقر ـ المصدر السابق ـ ص٥٩٨ .

(7) Percy sykes, Op-cit. P. 305.

(4) Pope. Op-cit. P. 71.

أ – ج اربدى – تراث فارس – ترجمة محمد كفاني – القاهرة١٩٥٧ ·ص٤٩

٨ – الثعالبي – غرر السير ٢٢٥٩ Malcolm, Op cit P. 14.

المسعودي – مروج الذهب · تحقيق محمد محيىالدين عبدالحميد جـ١ ص٢٣٤ ·

الطبري – تاريخ الامم والملوك · جـ١ ص٥٨١ ·

شاهين مكاريوس – تاريخ ايران – ص٦٣ ·

٩ – اندريه ايمار – تاريخ الحضارات العام ص٢١٧ ·

Pope, Op, cit-P. 60.

(10) Debevoise. Op-cit P. 9.

Pope. Cit. p. 71.

دونالر ولبر · ايران ماضيها وحاضرها ترجمة عبدالمنعم محمد ص٣٨

طه باقر · المصدر السابق جـ١ ص٥٩٩

(11) Malcolm, Op. cit. P. 25.

١٣ – طه باقر المقدمة جـ١ ص٥٩٩ ·

ول ديوارتت ، قصة الحضارة جـ٣ م٣ ص١٥٦ ·

ارثر كريستن ، ايران في عهد الساسانيين ص١١٥ ·

بصمجي فرح كنوز المتحف العراقي بغداد ١٩٧٢ ص٦٧ ·

(12) Chrishman, Iran, P. 244.

Pope, A survey of Persian Art. P. 71.

Debevoise, Op. cit. P. 25.

١٤ – اميل بول ، تاريخ ارمينيا ، بيروت ١٩٦٤ ص١٠ ·

المصادر العربية :

١ – ايرى (أ-ج) تراث فارس ، القاهرة ١٩٥٩ ، ترجمة مجموعة من الاساتذة ·

٢ – اميل بول ، تاريخ ارمينيا ، بيروت ١٩٦٤ ، ترجمة شكري علاوي

٣ ـ ايمار اندريه وجانين ادبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، ١٩٦٤ ترجمة فريد داغر ٠

٤ ـ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الاول ١٩٧٣ ٠

تهب يوما كاملا ، وازدادت شدة في مهبها حتى غمـــرت الجبال ، وفتكت

٥ ـ فرح بصمه‌جي ، كنوز المتحف العراقي ، بغداد ١٩٧٢ ٠

٦ ـ الثعالبي ، تاريخ غرر السير (اخبار ملوك الفرس) ، ايران١٩٦٣

٧ ـ خليل الله خليلي ، هران تاريخها آثارها رجالها الجزء الاول ١٩٧٤ ٠

٨ ـ ديوارانت (ول) ، قصة الحضارة ، جـ٣ م٣ ، ترجمة محمد بدران ٠

٩ ـ الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، جـ١ ، طبعة ليدن ٠

١٠ ـ الكرخي اسيدور ، المنازل الفرثية ، سومر جـ٢ م٢ ١٩٤٦ ، ترجمة فؤاد سفر ٠

١١ ـ كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ترجمة يحيى الخشاب ٠

١٢ ـ مكاريوس شاهين ، تاريخ ايران ١٨٩٨ ٠

١٣ ـ هارولد نلسن ، العصور القديمة ، بيروت ١٩٣٦ ٠

١٤ ـ ولبر دونالد ، ايران ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٥٨ ترجمة عبدالمنعم حسنين ٠

المصادر الاجنبيـة :

1 — College, Malcolm A.R., The Parthians, (London, 1967).

2 — Debevoise, Neilson G., A Political History of Parthia, (Chicago, 1938).

3 — Chirshman, R., Iran, (Paris, 1954).

4 — Pope, A survey of Persian Art, Vols. I. VII.

5 — Sykes, Percy, A History of Persia, Vol. I (London